فَـلا يُـبْـعِـدَنْـكَ الـلَّـه يَـابْـنَ مُـزَاحـم
فَـكُـلُّ امْـرىءٍ لِـلْـمَـوْتِ لا بُـدَّ شـارِبُـهْ(١)
فـقـد كُـنْـتَ ظـلَّاعَ الـنِّـجَـادِ ومُـعْـطِـيَ الـ
ـجـيَـادِ وسَـيْـفـاً لا تُـفَـلُّ مَـضـارِبُـهْ(٢)

١٧
دعوة مخلصة

[الطويل]

أَرى كـلَّ أَرْضٍ دُسْـتِ فـيـهـا وإِنْ مَـضَـتْ
لـهـا حِـجَـجٌ يَـزْدادُ طِـيـبـاً تُـرابُـهـا(٣)
أَلَـمْ تَـعْـلَـمَـنْ يـا رَبِّ أَنْ رُبَّ دَعْـوَةٍ
دَعَـوْتُـكَ فـيـهـا مُـخْـلِـصـاً لَـوْ أُجـابُـهـا(٤)
فَـأُقْـسِـمَ لَـوْ أَنِّـي أَرَى نَـسَـبـاً لـهـا
ذُبَـابَ الـفَـلا حَـنَّـتْ إِلَـيَّ ذُبـابُـهـا(٥)

= النياق على قبور موتاهم. فعل الشاعر ذلك بعدما انفضّ المشيّعون من أقاربه. توجّه إلى ناقته بأنه سيذبحها عن روح والده، وها هو الآن راكب وسوف يعود بالغد ماشياً سيراً على قدميه.

(١) يوجّه الشاعر كلامه إلى أبيه متمنياً له رحمة اللّه تعالى؛ فهذا مصير سائر البشر المحتّم، فلا خلاص منه لأحد.

(٢) النجاد، مفردها نجد: الطرق. طلّاع النجاد: خبير بمسالك الصحراء. معطي الجياد: كريم. لا تُفلّ مضاربه: سيف قاطع لا ثلمة فيه. يصف الشاعر والده بصفات محبّبة عند العربي، متغنياً بتلك الصفات من شجاعة وكرم ومعرفة بالحياة.

(٣) الحجج: السنون والأعوام. الأثر الطيّب ناتج عن مرورك بأرض داستها قدماك فتركت فيها طيباً وفوحاً يزداد بمرور الأيام والسنين.

(٤) يتوجّه الشاعر إلى اللّه تعالى بالدّعاء أن يستجيب دعاءه ليلتقي حبيبته، ولكن اللّه تعالى لا يستجيب له.

(٥) يقسم الشاعر لو أنّ علاقة بين ذباب الصحراء وبين حبيبة صلة قرابة لأجاب دعوته ورقّ لحاله.

لَعَمرُ أَبي لَيْلَى لَئِنْ هِيَ أَصبَحَتْ
بِوادي القُرَى ما ضَرَّ غَيْرِي اغْتِرابُها[١]

١٨
يا نفس صبراً

دخلَ مكَّةَ المكرَّمَة محرِماً ليطوف حول الكعبةِ سائلاً ربَّه الوصالَ من ليلى. ولما سمعه الطائفون أَنكروا عليه ذلك وقالوا له: هلَّا سأَلت ربَّك المغفرةَ والتوبةَ فأَنشد يقول:

[الطويل]

ذَكَرْتُكِ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الوَحْشُ والتَقَتْ
رِفَاقٌ مِنَ الآفاقِ شَتَّى شُعُوبُها[٢]
وَعِنْدَ الحَطِيمِ قَدْ ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً
أَرَى أَنَّ نَفْسِي سَوْفَ يَأْتِيكِ حُوبُها[٣]
دَعا المُحرِمونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ
بِمَكَّةَ شُعْثاً كَيْ تُمحَّى ذُنُوبُها[٤]

---

(١) يقسم الشاعر بأبي ليلى بأن رحيلها لن يضرّ أحداً سواه. وادي القرى: اسم مكان.

(٢) بدل أن يتوب الشاعر إلى اللَّه تعالى ويستغفره ذكر ليلى وتضرّع إلى خالقه تعالى حيث يجد كلّ كائن مأمنه، إذ بمن يطوفون يستنكرون عليه دعاءه وتضرّعه، لأنه لم يخلص للَّه تعالى تضرّعه واستغفاره.

(٣) و (٤) الحطيم: أحد المواضع المباركة في مكة المكرمة. الحوب: الحزن. أثناء سعي الشاعر تجلّت له ذكرى حبيبته في لحظة تجلّيات الخشوع وتضرّع إلى الخالق تذكر حرمانه وآلامه، ولا ريب أن خبر ما يعانيه سيصل إلى مسامع حبيبته، بينما المحرمون يتوبون إلى مولاهم ويستغفرونه وهم شُعْث غُبر على أمل أن يستغفر لهم خالقهم وتمحى ذنوبهم.